

فَضْلُ اللَّهِ فِي الْجَزَاءِ عَنِ الْأَعْمَالِ

الدرس
18

أَهْدَافُ الدَّرْسِ

- 1 - أَنْ أَتَعَرَّفَ مَظَاهِرَ فَضْلِ اللَّهِ فِي الْجَزَاءِ عَنِ الْأَعْمَالِ.
- 2 - أَنْ أُدْرِكَ سِرَّ مُضَاعَفَةِ اللَّهِ ثَوَابِ الْأَعْمَالِ.
- 3 - أَنْ أَتَمَتَّلَ فَضْلَ اللَّهِ فِي الْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ لِأَسْتَكْثِرَ مِنْهَا.

تَمْهِيدٌ

الْإِنْسَانُ عَامِلٌ لَا مَحَالَةَ، لَهُ وَعَلَيْهِ مَا عَمَلُهُ مِنْ حَسَنَاتٍ أَوْ سَيِّئَاتٍ، وَيُكْتَبُ لَهُ وَعَلَيْهِ مَا يَسْتَحِقُّهُ مِنْ ثَوَابٍ أَوْ عِقَابٍ إِلَّا أَنْ فَضَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَظِيمٌ فِي الْجَزَاءِ، يُضَاعِفُ لَنَا الْحَسَنَاتِ، وَلَا يُضَاعِفُ عَلَيْنَا السَّيِّئَاتِ.

فَمَا مَظَاهِرُ فَضْلِ اللَّهِ فِي الْجَزَاءِ عَنِ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ؟ وَمَا سِرُّ مُضَاعَفَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ثَوَابِ الْأَعْمَالِ عَنِ الْحَسَنَاتِ دُونَ السَّيِّئَاتِ؟

الْحَدِيثُ

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فِيَمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ: فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً». [رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما بهذه الحروف]

تَرْجَمَةُ الرَّاوي

تَقَدَّمتْ تَرْجَمَةُ الرَّاوي فِي الدَّرْسِ الثَّالِثِ عَشَرَ.

الفهم

الشرح:

كَتَبَ: الْكِتَابَةُ: النَّقْشُ بِالْخَطِّ، وَالْمُرَادُ بِهِ : أَمْرُ الْحَفَظَةِ بِالْكِتَابَةِ.

حَسَنَةً: خَيْرٍ.

سَيِّئَةً: شَرٌّ.

هَمَّ: أَلْهَمَ: الْقَصْدُ إِلَى الْفِعْلِ.

ضِعْفٍ: ضِعْفُ الشَّيْءِ: مِثْلُهُ أَوْ مِثْلَاهُ.

استخلاص المصامين:

1 - أُحَدِّدُ مِنَ الْحَدِيثِ مَظَاهِرَ فَضْلِ اللَّهِ فِي الْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ.

2 - أَسْتَخْلِصُ مِنَ الْحَدِيثِ سِرَّ مُضَاعَفَةِ ثَوَابِ الْأَعْمَالِ.

التحليل

يَشْتَمِلُ هَذَا الدَّرْسُ عَلَى مَا يَأْتِي:

أولاً: مَظَاهِرُ فَضْلِ اللَّهِ فِي الْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ

هَذَا حَدِيثٌ شَرِيفٌ عَظِيمٌ، بَيَّنَّ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ مِقْدَارَ تَفَضُّلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى خَلْقِهِ فِي الْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ، وَمِنْ مَظَاهِرِ ذَلِكَ أَنْ جَعَلَ هَمَّ الْعَبْدِ بِالْحَسَنَةِ وَإِنْ لَمْ يَعْمَلْهَا حَسَنَةً، وَجَعَلَ هَمَّهُ بِالسَّيِّئَةِ وَإِنْ لَمْ يَعْمَلْهَا حَسَنَةً، وَإِنْ عَمِلَهَا سَيِّئَةً وَاحِدَةً، فَإِنْ عَمِلَ الْحَسَنَةَ كَتَبَهَا اللَّهُ عَشْرًا، إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ،

إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَذَلِكَ بِقَدْرِ دَرَجَةِ الْإِخْلَاصِ وَالنِّيَّةِ فِيهَا وَوُقُوعِهَا الْمَوْقِعَ الْأَفْضَلَ؛ فَضَاعَفَ لَهُمْ سُبْحَانَهُ الْحَسَنَاتِ وَلَمْ يُضَاعَفْ عَلَيْهِمُ السَّيِّئَاتِ، وَذَلِكَ مِنْهُ سُبْحَانَهُ مُجَرَّدُ فَضْلٍ.

وَإِذَا تَأَمَّلْنَا أَلْفَاظَ الْحَدِيثِ أَدْرَكْنَا عَظِيمَ لُطْفِ اللَّهِ تَعَالَى فِي لَفْظٍ: «عِنْدَهُ» الَّذِي يَحْمِلُ إِشَارَةً إِلَى الْإِعْتِنَاءِ بِالْحَسَنَةِ الْمَكْتُوبَةِ، وَفِي لَفْظٍ: «كَامِلَةً» الَّتِي تَدُلُّ عَلَى التَّأَكُّيدِ وَشِدَّةِ الْإِعْتِنَاءِ وَسَعَةِ الْفَضْلِ، وَفِي جُمْلَةٍ: «كَتَبَهَا اللَّهُ عَنْهُ حَسَنَةً كَامِلَةً»، فَجَعَلَهَا «كَامِلَةً»، مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ، وَفِي جُمْلَةٍ: «كَتَبَهَا سَيِّئَةً وَاحِدَةً»، فَقَلَّلَهَا وَلَمْ يَجْعَلَهَا كَامِلَةً، مَعَ أَنَّهُ عَمِلَهَا.

ثَانِيًا: سِرُّ الْمُضَاعَفَةِ فِي ثَوَابِ الْأَعْمَالِ

لِلسِّرِّ فِي مُضَاعَفَةِ ثَوَابِ الْأَعْمَالِ وَالتَّفَضُّلِ فِيهِ وَجُوهٌ، مِنْهَا:

1- أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ لَهُم بِالْحَسَنَةِ حَسَنَةً، لِعَقْدِ الْقَلْبِ عَلَى ذَلِكَ؛ لِأَنَّ إِرَادَةَ الْخَيْرِ فِعْلُ الْقَلْبِ. وَلَا يَلْزَمُ فِي الْمُقَابِلِ أَنْ يَكْتُبَ لِمَنْ هَمَّ بِالسَّيِّئَةِ وَلَمْ يَعْمَلْهَا سَيِّئَةً؛ لِأَنَّ الْكَفَّ عَنِ الشَّرِّ بَعْدَ الْهَمِّ بِهِ فَسُخِّ لِعَقْدِ الْقَلْبِ عَلَى السَّيِّئَةِ بِاعْتِقَادِ آخَرِ يَنْوِي بِهِ الْخَيْرَ، وَيَعْصِي بِهِ هَوَى الشَّرِّ، فَجُوزِيَ عَلَى ذَلِكَ بِحَسَنَةٍ. وَيَدُلُّ لَهُ حَدِيثُ: «فَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِي فَاكْتُبُوهَا حَسَنَةً». [صحيح ابن حبان، ذكر البيان بأن تارك السيئة إنما يكتب له بها حسنة إذا تركها لله]. وَلَا يَدْخُلُ فِي مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ مَنْ تَرَكَ السَّيِّئَةَ مُكْرَهًا عَلَى تَرْكِهَا، أَوْ عَاجِزًا عَنْهَا، فَلَا تُكْتُبُ لَهُ حَسَنَةً.

2- أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا قَصَرَ مِنْ أَعْمَارِ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَخْلَفَهَا ذَلِكَ بِتَضْعِيفِ أَعْمَالِهَا، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ اخْتَسَبَ لَهُ بِتِلْكَ الْهَمَّةِ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هَمَّ بِهَا وَعَمِلَهَا فَقَدْ أَخْرَجَهَا مِنَ الْهَمَّةِ إِلَى دِيْوَانِ الْعَمَلِ، فَيَكْتُبُ لَهُ بِالْهَمَّةِ حَسَنَةً، وَبِالْعَمَلِ حَسَنَةً مُضَاعَفَةً بِمِقْدَارِ إِخْلَاصِ النِّيَّةِ وَإِقَاعِهَا فِي مَوَاضِعِهَا.

3- مَا يَظْهَرُ فِي الْوَاقِعِ مِنَ التَّضَاعُفِ إِذَا تَصَدَّقَ الشَّخْصُ بِحَبَّةٍ بُرٍّ فَبُذِرَتْ فِي أَرْضٍ أَرْضٍ، ثُمَّ اسْتُحْصِدَتْ وَدُرِسَتْ وَبُذِرَتْ فِي أَرْضٍ أُخْرَى أَرْضٍ، وَهَكَذَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، حَتَّى تَأْتِيَ الْحَبَّةُ مِنَ الْبُرِّ وَالْخَرْدَلِ وَالْخَشَاشِ أَمْثَالَ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي، أَوْ عَلَى قَدَرٍ عَظُمِ الدُّنْيَا كُلِّهَا.

4- مَا يَنْفَضُّ بِهِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِذَا حَاسَبَ عَبْدَهُ الْمُسْلِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَكَانَتْ حَسَنَاتُهُ مُتَفَاوِتَةً، فِيهِنَّ الرَّفِيعَةُ الْمِقْدَارِ، وَفِيهِنَّ دُونَ ذَلِكَ، فَيَحْسَبُ لَهُ سَائِرَ الْحَسَنَاتِ بِجَزَاءِ تِلْكَ الْحَسَنَةِ الْعُلْيَا، وَقَدْ قَالَ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَرِمَا كَانَوْا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 97]. وَكُلُّ هَذِهِ الْمُضَاعَفَةِ عَلَى حَسَبِ مَعْرِفَةِ الْعِبَادِ، لَا عَلَى مِقْدَارِ فَضْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَإِنَّهُ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَخْصُرَهُ خَلْقٌ.

5- مَا يَنْضَاعُ بِهِ الْعَمَلُ مِنَ التَّحْوِيلِ فِي مِثْلِ: أَنْ يَتَصَدَّقَ الرَّجُلُ عَلَى فَقِيرٍ بِدِرْهِمٍ، فَيُؤَثِّرُ الْفَقِيرُ بِذَلِكَ الدِّرْهِمِ فَقِيرًا آخَرَ أَشَدَّ مِنْهُ فَقْرًا، فَيُؤَثِّرُ بِهِ الثَّالِثُ رَابِعًا، وَالرَّابِعُ خَامِسًا، وَهَكَذَا؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَحْسَبُ لِلْمُتَصَدِّقِ الْأَوَّلِ بِالدِّرْهِمِ عَشْرَةً؛ فَإِذَا تَصَدَّقَ بِهَا الثَّانِي صَارَتْ لَهُ عَشْرَةٌ، وَلِلْأَوَّلِ مِائَةٌ؛ فَإِذَا تَصَدَّقَ بِهَا الثَّالِثُ صَارَتْ لَهُ عَشْرًا، وَلِلثَّانِي مِائَةٌ، وَلِلثَّالِثِ أَلْفًا؛ وَتُضَاعَفُ هَكَذَا إِلَى مَا لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى.

مِمَّا يُسْتَفَادُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ:

- عِظْمُ فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجَزَاءِ وَالْعَطَاءِ.
- سَعَةُ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْعِبَادِ فِي مُضَاعَفَةِ الْحَسَنَاتِ دُونَ السَّيِّئَاتِ.
- تَيْسُرُ الْفَوْزِ بِرِضَى اللَّهِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ عَلَى كُلِّ النَّاسِ إِلَّا مَنْ أَبَى.
- أَهَمِّيَّةُ إِخْلَاصِ الْعَمَلِ وَقُوَّةُ الْإِيمَانِ فِي مُضَاعَفَةِ الثَّوَابِ.

التَّقْوِيمُ

- 1- أُسْتَخْرِجُ مِنَ الْحَدِيثِ مَظَاهِرَ رَحْمَةِ اللَّهِ بِالْإِنْسَانِ.
 - 2- أُبَيِّنُ سَبَبَ مُضَاعَفَةِ ثَوَابِ الْأَعْمَالِ إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ أَوْ أَكْثَرَ مِنْهَا.
 - 3- أَتَحَدِّثُ فِي بَضْعَةِ أَسْطَرٍ عَنِ دَوْرِ الْإِخْلَاصِ فِي مُضَاعَفَةِ الثَّوَابِ.
- أَدِدُّ الْأَصْنَافَ الْأَرْبَعَةَ الْمَذْكُورَةَ فِي الْحَدِيثِ، وَأُمَيِّزُ بَيْنَهَا مِنْ حَيْثُ الْمَرْتَبَةُ وَالْجَزَاءُ.

الِاسْتِثْمَارُ

عَنْ أَبِي كَبْشَةَ الْأَنْمَارِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٌ رَزَقَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَيَصِلُ فِيهِ رَحْمَهُ وَيَعْلَمُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ حَقَّهُ، قَالَ: فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ. قَالَ: وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا، قَالَ: فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ كَانَ لِي مَالٌ عَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ، قَالَ: فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ. قَالَ: وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحْمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقَّهُ، فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ. قَالَ: وَعَبْدٌ لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ كَانَ لِي مَالٌ لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ، قَالَ: هِيَ نِيَّتُهُ، فَوَزَرُهُمَا فِيهِ سَوَاءٌ». [مسند الإمام أحمد 29 / 562]

الْإِعْدَادُ الْقَبْلِيُّ

أَحْفَظُ حَدِيثَ الدَّرْسِ الْمَوَالِي، وَأُبَيِّنُ مَنْ هُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ تَعَالَى وَمَا مَكَانَتُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ.